

ميثولوجيا المكان في كردستان العراق

م.م سامي اسماعيل مصطفى
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية فنون الجميلة
جامعة صلاح الدين - أربيل
أقليم كردستان - العراق
sami.mustafa@su.edu.krd

الخلاصة

تناول البحث الحالي الموسوم (ميثولوجيا المكان في كردستان العراق) دراسة فكرية وجمالية لما أنتجت من دلالات فكرية لتحمل مضمون غير مرئي مجرد يستدعي مدلولات المكان في فكر الكوردي المعاصر ، ويتطلب دراسته صياغة من خلال ابراز الجوانب الفكرية التي تاطره الى شكلا شاخصا. ولهذا تكون قراءتنا للبنى المشكلة للوجود الثقافي ومن باب التوالي التاريخي للثقافة الإنسانية. وبهذا الصدد تضمن البحث الحالي أربعة فصول، احتوى الفصل الأول مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وحدوده وتحديد مصطلحاته. وتحددت مشكلة البحث من خلال السؤالين الآتية:

1. هل الاساطير المطروحة عن المكان لها علاقة بالعقيدة الدينية أو الحياة الاجتماعية؟
2. ما اثر الميثولوجيا على المكان وحياة الناس؟ وهل لها سمات جمالية تؤسس لتربية الذوق العام؟

وكذلك اهمية البحث تكمن في توثيق التجربة الابداعية في كردستان العراق، ويلقي الضوء على بعض المعتقدات الشعبية لدى شعب الكوردي، من خلال الاهتمام بدراسة ميثولوجيا.

وتوصل الباحث إلى جملة من الاستنتاجات منها : مواضيع الأساطير المتروحة على المكان اكثرها مستمد من الحكايات الشعبية المتناقلة شفاهياً من جيل الى اخر وبمرور الزمن اصبح من المعتقدات الدينية. ويبدو ان بداية نشأة هذه الاساطير الغريبة كان حكايات بسيطة التي عندما كان يصيب الناس أمراً بالنهار فيجتمعون بالليل ويحكونه. فهذه الحكايات الاسطورية الكوردية رويت من قبل اشخاص اميين على الاغلب، ولم يعرفون فنون الالقاء او الرواية، بل كانوا يملكون القدرة والمهارة الفطرية.

الفصل الأول

• مشكلة البحث

الاسطورة هي الدمج ما بين الواقع والخيال، وتفرز الواقع الاجتماعي في المنظور الزمني القصة لتصبح جزء لا يتجزء من حياة العنصر البشري، وبالتالي سوف ترمي هذه القصة شكلا من الاشكال الموجودة بالكون بمضمون الغائب، ليكون حاضرا بين الناس لتجسد لهم الميثولوجيا في المكان، ليكون شاخصا ثابتا فاعلا غير متحرك يحمل دلالات فكرية لتحمل مضمون غير مرئي مجرد يستدعي مدلولات المكان في ازمنا قديم، ويتطلب دراسته صياغة من خلال ابراز الجوانب الفنية التي تاطره الى شكلا شاخصا. ولهذا تكون قراءتنا للبنى المشكلة للوجود الثقافي ومن باب التوالي التاريخي للثقافة الإنسانية. وبهذا الصدد تنطلق مشكلة البحث من السؤالين الاتيين:-

1. هل الاساطير المطروحة عن المكان لها علاقة بالعقيدة الدينية أو الحياة الاجتماعية؟
2. ما اثر الميثولوجيا على المكان وحياة الناس؟ وهل لها سمات جمالية تؤسس لتربية الذوق العام؟

• اهمية البحث

سيساهم البحث في توثيق التجربة الابداعية في كردستان العراق، ويلقي الضوء على بعض المعتقدات الشعبية لدى شعب الكوردي، من خلال الاهتمام بدراسة ميثولوجيا المكان في كردستان العراق.

• اهداف البحث

1. كشف السمات الفكرية للاساطير وعلاقتها بالعقيدة الدينية في بعض المناطق في كردستان العراق.
2. كشف نظام العلاقة بين الميثولوجيا والمكان في كردستان العراق.

• حدود البحث

حدود البحث يتضمن البحث موضوع ميثولوجيا المكان في كردستان من خلال تحليل عينات مختارة في كردستان العراق من (محافظة اربيل) و(محافظة دهوك) نموذجا.

• تحديد المصطلحات

1. **الميثولوجيا اصطلاحاً:** هي علم دراسة الأساطير، والأسطورة هي حكاية مقدسة، أو هي بتعريف أوسع حكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومربوبة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولاتشير الى زمن محدد، بل الى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي.¹
2. **المكان اصطلاحاً:** تعريف ارسطو للمكان: المكان مفارق للجسم خارج عنه، فهو يحتوي الجسم دون ان يخالط به او يكون جزءاً منه. فهو بالوعاء اشبه. ويقال انه الحد اللامتحرك المباشر للحاوي²
- "المكان وسط غير محدود يشتمل على الأشياء، وهو متصل ومتجانس لاتيتميز بين اجزائه، وذو أبعاد ثلاثة هي طول والعرض والارتفاع، وأما يكون في اشكال متشابهة"³.
3. **الخرافة اصطلاحاً:** "الخرافة شكل حكاية بسيط، يضم وينظم المعتقدات القديمة عن القوى الغيبية، وعن اصل الكون، أو بعض ظواهر الطبيعة، أو اصل بعض المؤسسات الاجتماعية، أو تاريخ شعب ما. ولمثل هذا الشكل الحكائي مكوناته ومقوماته، وهو شكل قد يتطور أو لا يتطور الى الاسطورة"⁴.
4. **الطقوس اصطلاحاً:** "الطقوس مثل الخرافة تسمح للإنسان في اطار ثقافي اجتماعي معين، بأن يكتشف، وأن يقيم العلاقات بين ذاته وبين أشياء أخرى في الكون أو طبيعة أو المجتمع، وذلك من خلال افعال محددة، تكتسب بالطقس نفسه معنى مجازياً"¹.

1 - خزعل الماجدي. متون سومر، التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 60

2 - محمد عبد الرحمن مرحبا. مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988، 171 الى 172

3 - المعجم الفلسفي. مجتمع اللغة العربية، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، 1983، ص 191

4 - سامي خشبة. مصطلحات فكرية، مكتبة الاسرة، مهرجان القراءة للجميع، 1997، ص 121.

الفصل الثاني الأطوار النظري

المبحث الأول: الجذر التاريخي للأسطورة

نستطيع بدراستنا للأساطير أن نعرف كيف أجابت المجتمعات المختلفة قديماً عن الأسئلة الأساسية المتعلقة بالعالم ومكان الفرد فيه. ونحن ندرس الأساطير لنعرف كيف أن شعباً من الشعوب طوّر نظاماً اجتماعياً معيناً بعاداته المختلفة وطرق حياته المتعددة، نشأت الأساطير على ذلك دوافع متعددة يأتي على أولوياتها، في تفسير الظواهر الغامضة في تلك العصور القديم يحدد الأستاذ جيرالد لارسون "الأسطورة قائلاً بأنها حكاية أو مجموعة من الحكايات أو روايات منسوجة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية لغرض تفسير تجاربها وعالمها فردياً أو جماعياً. وقد تفسر الأساطير خلق الكون والإنسان ونشأة الموت والقرابين وبطولات الأبطال"².

وإذا كان هناك تطور في معنى كلمة (mythos) فإن هنالك آراء متعددة وذلك يرتبط أيضاً في أصولها وفي أنواعها المتعددة، فهي عند فونك حكاية تحكي أحداثاً وقعت في زمن بالغ القدم إذ لا بد أن تكون شخصها الرئيسية من الآلهة.³

"وردت الأسطورة في (فن الشعر) لأرسطو⁴ كلمة تفيد العقدة، البناء القصصي، الحكاية على لسان الحيوانات (fable) ونقيضها، ونضيرها العقل (logos) وهية يقابلها في كثير من اللغات الأجنبية كلمتا (myth, mythos) التي هي نمط قصصي قائم بذاته وليس من السهل أن يختلط بغيره من الأنماط"⁵.

أن تنوع الأساطير أدى إلى ظهور تنوع في المناهج التي تتناول الميثولوجيا، فظهر المنهج الطبيعي والرمزي "ترجع كلمة أسطورة إلى جذر يعني (ابكم وصامت) (موتوس mutus)، وفكرة الصمت هذه ترتبط بالاشياء التي لا يمكن التعبير عنها بطبيعتها إلا بالرموز"⁶. الأسطورة الرمزية وهي التي تتضمن رموزاً تتطلب التفسير، ومن المؤكد أن (التأليف الأسطورة)⁷ قد ألفت في مرحلة فكرية أكثر نضجاً ورقياً في حكايات التي يعتقد بها الناس، وبعض الأحيان تكون خارقة للطبيعة وتعبّر عن وقائع تاريخية محورة ومزينة بواسطة الذاكرة الجماعية. تقوم الأسطورة على تجسيد قوى الطبيعة، وذلك بأسباب صور حسية عليها، بتصويرها كائنات حية (بشراً، حيواناً). ولم تكن أفعال الكائن الأسطوري تتبدى لإنسان ذلك العصر أشياء غيبية خارقة، وإنما أمور عادية، واقعية جداً، لا تستدعي شكاً. فكانت البطولات الأسطورية الخارقة تعتبر أعمالاً قد تمت حقاً⁸.

تستعمل الأسطورة في قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة، تلخص عدداً لا ينتهي من المواقف المشابهة قليلاً أو كثيراً، وترجم الأسطورة قواعد السلوك عند جماعة اجتماعية معينة أو دينية بعينها "تستعمل الأساطير غالباً بقصص رمزية علمية، دينية أو أخلاقية في المقام الأول، تظهر هذه الأساطير لتفسير شعاراً أو قانوناً، أو ربما تكون أمثلة أو حكايات رمزية توضح موقفاً أو برهاناً معيناً"⁹.

- 1 - سامي خشبة. مصطلحات فكرية، المصدر السابق، ص 165.
- 2 - قيس النوري. الأساطير وعلم الاجناس، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981، ص 10.
- 3 - نبيلة ابراهيم. الأسطورة، سلسلة الموسوعة الصغيرة وزارة الاعلام العراقية، ص 7.
- 4 - (ارسطو) فيلسوف يوناني 384 - 322 قبل الميلاد، مدرس الاسكندر الاكبر ومؤسس مدرسة ابتدائية ثانوية في اثينا. وهو مؤلف عدد كبير من البحوث في المنطق والسياسة والبيولوجيا والتشريح المقارن وتنظيم الحيوان اصافة الى الفيزياء وما وراء الطبيعة. للمزيد ينظر: لوك بنوا، اشارات، رموز واساطير، تعريب: فايز كم نقش، عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان، 2001، ص 5.
- 5 - أوسن وارن. نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، دمشق مطبعة خالد الطرابيشي، 1972، ص 245.
- 6 - لوك بنوا. المصدر السابق، ص 95.
- 7 - (التأليف الأسطورة) ظهر هذا المصطلح في النقد الأدبي لتحديد نوع من الشعر الرمزي الانجليزي عند ويليام بليك وبيتس أساساً أتجه اما الى استخدام الشخص والعناصر أو رموز الدينية، أو الى صياغة أسلوب، أشبه بأساليب الكتب المقدسة السماوية. تطمح الى إعادة احساس الانسان بالقسسية، ويوضعه (المهم) في الكون. للمزيد ينظر: سامي خشبة، مصطلحات فكرية، مكتبة الاسرة، مهرجان القراءة للجميع، 1997، ص 57.
- 8 - علي الجزيري. الأدب الشفاهي الكردي، المصدر السابق، ص 34.
- 9 - نور ثروب فراي. الماهية والخرافة، ترجمة: هيفاء هاشم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992، ص 52.

شغلت الأسطورة المفكرين من نواحي عدة فهي بوصفها نمطا قصصيا شغلهم بما تحكيه وبالسؤال عن حكيها ولمن؟ ولماذا؟ وهي بوصفها صور وخيالات شغلهم بالسؤال عن مغزى هذه الصور والخيالات ومدى علاقتها بالواقع الحسي، ثم هي بكونها جزءاً لا يتجزأ من النشاط الفكري والروحي للإنسان القديم بليل انه حرص على نقشها على آثاره الدينية، شغلهم بالسؤال عن مدى ارتباطها بالحضارات التي عاشت فيها، وفيما اذا كان الارتباط محدودا بزمان ما، أو مكان ما، أم إن الأسطورة تكشف في جوهرها بصرف النظر عن تباين أشكالها، عن بناء الفكر البشري في أي زمان ومكان¹.

يقول فريزر بأن الأسطورة قد أستمدت من الطقوس. فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين، وفقدان الاتصال مع الاجيال التي أسسته، يبدو الطقس خاليا من المعنى ومن السبب والغاية، و تخلق الحاجة لاعطاء تفسير له وتبرير. وهنا تأتي الأسطورة لأعطاء تبرير لطقس مبجل قديم، لا يريد اصحابه نبذه أو التخلي عنه².

يرى فرويد³ تشابهاً في آلية العمل بين الحلم والأسطورة، وتشابه الرموز لكليهما، فهما نتاج العمليات النفسية اللاشعورية⁴.

يرى يونغ⁵ أن كل المحاولات التي بذلت لتفسير الأسطورة، لم تساهم في فهمها، بل على عكس لقد زادت في الأبتعاد عن جوهرها، وزادت من حيرتنا نحوها. وهو يقتفي أثر فرويد في النظر للأسطورة كنتاج للاشعور⁶. احتلت الاسطورة مكانة ملحوظة عند الفلاسفة وعلماء النفس ومؤرخي الحضارة والاديان منذ القرن الثامن عشر، وقد اشتغل مفكرون من امثال (ارنست كاسيرر) و(كارل غوستاف يونغ) و(فريدك شلنغ) و(مرسيا الياد) وغيرهم في تفسير الاسطورة والتفكيرالأسطوري بوصفها من التمثلات المعرفية البدائية للإنسان. ورغم أن أحدث النظريات في تفسير الأسطورة تعبر بطريقة رمزية عن حقائق خاصة بفكر الانسان وحياته، كان الانسان في اساطير الأولى يصارع بالفعل في سبيل توضيح الغموض الذي يكتنف وجوده، محاولاً أن يجد الاجابات على المتناقضات الظاهرة في هذا الوجود. وقد بدأ التفكير الاسطوري يبرز لحظة ازدياد الحدة في العلاقة بين الانسان وذاته وبينه وبين الطبيعة⁷.

1. وينكر (فراس السواح) الاسطورة، كما يلي.
2. من حيث الشكل، الاسطورة هي قصة، وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات.
3. يحافظ النص الاسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته بالنسبة الى الجماعة.
4. لا يعرف للأسطورة مؤلف معين، لأنها ليست نتاج خيال فردي بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها.
5. تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية.
6. تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس وهو غير الزمن الحالي المعروف.
7. ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه. وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة اذا انهار هذا النظام الديني، وتتحول الى حكاية دنيوية تنتمي الى نوع أخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة.
8. تتمتع الأسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم.

- 1- نبيلة ابراهيم. الأسطورة، المصدر السابق، ص 4- 5.
- 2 - فراس سواح. مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، دار الحكمة، بيروت، 1980، ص 15.
- 3 - سيموند فرويد (1856 - 1939). طبيب نمساوي، مؤسس علم التحليل النفسي. له مؤلفات كثيرة حول النظريات الجنسية. للمزيد ينظر: لوك بنوا. المصدر السابق، ص 6.
- 4 - فراس سواح. مغامرة العقل الأولى، المصدر السابق، ص 16.
- 5 - كارل جوستاف يونغ (Jung): (1875 - 1961) طبيب أمراض عقلية سويسري، وهو أقرب مردي فرويد ومؤيدي نظرياته. للمزيد ينظر: لوك بنوا. المصدر السابق، ص 6.
- 6 - فراس سواح. مغامرة العقل الأولى، المصدر السابق، ص 17.
- 7 - محمد الخطيب. الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى، 1999، ص 11 الى 13.
- 8 - فراس سواح. الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، منشورات علاء الدين، دمشق، 1997، ص 12 الى 14.

8. الاسطورة قد تكون في الاصل خرافة، أو قد لا تكون، ان الاسطورة منتظمة من حيث بنائها، وادخالها في نسج الحياة الاجتماعية للناس، وهي أكثر ارتباطاً ببطل أو مجموعة أبطال دينيين، أو حربيين، أو عاطفيين، أو سياسيين، أو العلماء¹.

اما الحكاية الشعبية، "فانها كالخرافة لا تحمل طابع القداسة، ولا يلعب الألهة أدوارها. كما أنها لا تتطرق، كما هو شأن الأسطورة، الى موضوعات الحياة الكبرى، وقضايا الإنسان المصيرية، بل تقف عند حدود الحياة اليومية والأمر الدنيوية العادية"². الحكاية الذي يرويها الناس البسطاء بدون اي ترتيب للمصادر "جوهرية الأسطورة هي عدم ترتيب المصادر التي اعترف به كانت³ (Kant)"⁴ والتي تمتاز بالواقعية والمعجزات، ويقول (لايبنتز)⁵ (لايبنتز)⁵ "عندما يكون المدهش كلياً، فانه يغني ويمتص مافيه من خصوصية لأنه يعقلها... والطبيعة كلها مليئة بالمعجزات لكنها معجزات مدركة"⁶. وكما الأسطورة تقتصر على مسائل العلاقات الاجتماعية وتكاد تخلو من التأملات الفلسفية والميتافيزيقية، مركزة على أدق التفاصيل وهموم الحياة اليومية. الاسطورة صناعة شكلية للخيال، والتي لا يمكن لها ان تكون الا بوجود هذا الخيال

التعامل مع الأسطورة كأحد أنماط العلاقات التجريدية، وهذا العلاقات يحتاج الى الكثير من المراقبة والتذكر، الى الكثير من التحليل والتركيب، الأسطورة أمراً مسلماً بمحتوياتها في معظم الأمور كالعالم تماماً، لأنها كانت تفسر بعض الظواهر الطبيعية وتعبير عن رغبات غريزية وانفعالية لمجتمع ما.⁷ وعلى أیه حال فقط أصبح تحديد مصطلح اسطورة في عصرنا الحاضر أكثر صعوبة بسبب الأتساع في المعنى الذي اكتسبته فنحن نسمع بين الحين والآخر عن الشعراء ورسامين يسعون الى تحقيق الطابع الاسطوري في اعمالهم.

ويمكن أن تقسم الاسطورة الى الأساطير الظواهر الطبيعية والأساطير الحيوانات والأساطير النباتات والاساطير الدينية وهي أكثر شيوعاً والأساطير الجنس والصحة والأساطير الطقوس والعبادات. وقد استعمل القرآن الكريم لفظة الأساطير فيما لا أصل له من الأحاديث... قال تعالى: " وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" وقال جل شأنه: " وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"⁸

المبحث الثاني : مقدمة في مفهوم فلسفة المكان

المكان هو الوسط الذي نعيش فيه، فلا يمكن ان نعيش بدون مكان، كما لا يمكن تصور المكان وتحديدته إلا بوجود الإنسان فيه، لذلك وجدت فكرة المكان مع خلق الإنسان ثم نمت وتطورت بنمو الفكر البشري وتطوره، ولهذه العلاقة الحميمة بين الإنسان والمكان، أصبح الحس المكاني جزءاً من الطبيعة البشرية. فكرة المكان كانت لها دوراً أساسياً في فكر الإنسان القديم، كما كان هذا الدور نفسه حديثاً، وقد ادرك الإنسان هذا الدور المتميز للمكان فالإنسان يلاحظ من خلال حياته اليومية أن الأشياء والاجسام تشغل مكاناً ما، وعلى هذا الأساس، فالمكان عند الإنسان مهم لوضع الأشياء من اجل تمييزها وأدراكها، ولا يستطيع الإنسان رفض المكان.

1 - سامي خشبة. مصطلحات فكرية، مكتبة الاسرة، مهرجان القراءة للجميع، 1997، ص121.

2 - فراس سواح. مغامرة العقل الأولى، المصدر السابق، ص21.

3 - اما نويل كانت (Kant)- فيلسوف الماني 1724 - 1804 فلسفته المتأثرة ب:- هوم Hume ولايبنتز وروسو تحاول الرد على الأسئلة (ماذا أستطيع أن أعرف؟ ماذا على أن أفعل؟ ماذا أستطيع أن امل ؟). للمزيد ينظر: لوك بنوا، المرجع السابق، ص96.

4 - لوك بنوا، نفس المصدر، ص96.

5 - ويلهلم لايبنتز (1646- 1716) فيلسوف ورياضي الماني، مؤلفاته كتب باللاتينية أو الفرنسية بحاول فيها ربط الأفكار الانسانية بالمنطق. وهو مبتكر الحساب التفاضلي ويعتبر الله مصدر كل شيء. للمزيد ينظر: لوك بنوا، نفس المصدر، ص11.

6 - لوك بنوا، نفس المصدر، ص95.

7 - اليكسي لوسيف. فلسفة الاسطورة، ترجمة: منذر بدر حلوم سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 2000، ص53.

8 - القرآن (سورة الأنفال:30)، (سورة الفرقان: 5)

فلسفة المكان وموقف الانسان منها، لم توجد دفعة واحدة، سواء أكان مفهومها ميثولوجيا أم فلسفيا، لأنها دائما تطورت مع تطور الفكر البشري من تعامله مع العالم الخيال. ومعنى هذا أن هذا الفكر مر بسلسلة من التطورات في موقفه من المكان حتى وصلنا الآن الى النظرة السائدة في العلم والفلسفة.

المكان يتألف من اجزاء جامدة (Solid) ممتدة بيد أن هذه الأجزاء لا بد أن تكون قابلة للانقسام الى اجزاء مختلفة، باظرورة تنقسم هذا اجزاء لأنها ممتدة وهكذا ما لا نهاية، وطالما تستمر الانقسامات فان هذا يسمح بوجود علامة تربط بين الأجزاء المنقسمة، فاذا بتحديد العناصر التي يتألف منها المكان لوجدناه بنقسم الى علاقات تلاشي. وإذا حاولنا أن نعتبر المكان يتألف من اجزاء سنجد العلاقة تدخل بين هذه الاجزاء، أما اذا اعتبرنا المكان شيئا واحدة فلن يمكننا أدراكه، وكذلك لا بد أن يحصل على حدود لكن هذه الحدود هي نفسها ليست مكانية وهي كذلك ليست كلية ولذلك فهي لا توجد على نحو مكاني مدرك، بل هي مجرد علاقات مكانية بين الحدود.¹

ان للمكان دلالات ومعاني ترتبط بالأحداث التي تحدث عليها، فالمعاني جميلة اذا كانت الاحداث سارة، والمعاني مؤلمة اذا كانت الأحداث سيئة، وهنا يتضح أن المكان لا معنى له إذا جرد من الحدث الذي قام عليه، "يرى براندلي أن المكان كوحدة تستحيل معرفته في الواقع المباشر على أساس أن معرفتي بالمكان الذي أوجد فيه معرفة محددة بعناصر الإدراك الحسي المكانية"² وتتضح الصورة أكثر عندما نجد أننا كنا نمر على مكان لا يعن لنا شيئا، وحينما حدث على هذا المكان حدث سار أصبحنا نحبه ونعشقه وربما كلما مررنا عليه استعدنا شريط تلك الذكريات الجميلة. والعكس أيضا إن كان هذا المكان قد ارتبط بأحداث سيئة فإننا عندما نذكره أو نمر عليه نحس بعدم الارتياح وما ذاك إلا نتيجة لتلك الأحداث الغير سارة التي ارتبطت به، "لكون المكان هو المجال الذي تجري فيه أحداث القصة. ولا بد للحدث من إطار يشمل، ويحدد أبعاده، ويكسبه من المعقولة ما يجعله حدثا قابلا للوقوع على هذه الصفة أو تلك. الحدث يأخذ حجمه الحقيقي استنادا لسعة المجال أو ضيقه كما أن المكان يعود على الحدث من جهة ثانية بالقيمة الاجتماعية التي ترتبط به، ويحمله من الشحنات العاطفية التي تصاحبه"³.

إذا فلسفة المكان كما أسلفت تكتسب شكلها من خلال الأحداث التي تحدث عليه، وكثيرة هي تلك الأمكنة التي لم تكن تعني للانسان شيئا ولكنها بسبب حدث معين أصبحت تعني الشيء الكثير، "أن كل أماكن لحظات عزلتنا الماضية، والأماكن التي عانينا فيها من الوحدة، والتي استمتعنا بها ورغبنا فيها وتألفنا مع الوحدة فيها تظل راسخة في داخلنا، لأننا نرغب في أن تبقى كذلك. الانسان يعلم غريزيا أن المكان المرتبط بوحده مكان خلاق، يحدث هذا حتى حين تختفي هذه الأماكن من الحاضر، وحين نعلم أن المستقبل لن يعيدها إلينا، وحين نعلم أنه لم يعيد هنالك عليه، ولا حجرة سطح، تظل هنالك حقيقة اننا عشنا مرة في حجرة السطح، واننا أحببنا العلية"⁴.

ان الظواهر الذي تؤكد لنا بوجود المكان ومستقلاً عن الاشياء هي ظاهرتان: فأولاً ظاهرة أجسام على محل واحد، فهذه الظاهرة تدل على أن المكان شيء قائم بذاته، توجد فيه الأشياء مختلفة في المكان واحد. والظاهرة الثانية هي ظاهرة الحركة في المكان. فالنقل الاشياء لا يمكن أن تتم الا بوجود مكاناً اخر. اذاً المكان شيئاً موجوداً، وتعني بها وجود الجهة: فجهة فوق وتحت⁵.

المبحث الثالث: الميثولوجيا الكوردية

تعد الميثولوجيا عند الشعوب من أهم الأسس التي يركز عليها التاريخ، والكورد كغيرهم من الأمم والشعوب العريقة لهم ثقافتهم وتراثهم الخاص بهم، والأسطورة أيضا كانت لها مكانا خاصا في خضم هذا التراث العريق. عرفت ميثولوجيا الشعب الكوردي، عبر تاريخه القديم بأنها تتسم بشيوع المعتقدات والأساطير، وسبب ذلك يعود الى ظروف معيشتهم الاجتماعية والسياسية في مراحل حياتهم التي ساهمت في بنيتهم الثقافية الشعبية، فمن الطبيعي ان تتكون في ذهنيهم تصورات اسطورية.

- 1 - محمد توفيق الضوى. مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة، الناشر المعارف بالاسكندرية، 2003، ص48.
- 2 - نفس المصدر، ص48.
- 3 - حبيب مونسى. فلسفة المكان في الشعر العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001، ص7.
- 4 - غاستون باشلار. جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1984، ص40.
- 5 - محمد الخطيب. الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الأولى، 1999، ص206.

فالأسطورة هي المرحلة الأولى في التفكير الفلسفي للإنسان وهي الخطوة الأولى التي وجهت الإنسان نحو الرمز، فأصبح الرمز مادته للتعبير. أما الأسطورة الكوردية فقد احتلت مكانة بارزة وملفتة للنظر في الأدب الكوردي فقد وجدت مع تواجد الإنسان.

يشير الاستاذ (علاء الدين السجادي)¹ أن تراث الكورد غني جداً في الحكاية والأسطورة القديمة التي لم تجمع، وترجع بداياتها إلى العصر القديم، فالمواضيع الباقية الآن والمتناقلة شفاهياً هي جزء صغير من المصادر القديمة لتلك العصور، التي عندما كان يصيب الناس أمراً بالنهار فيجتمعون بالليل ويحكونه، فإذا كان شيئاً مميّزاً فيتناقل شفاهياً من منعه ومكانه الاصيل إلى مكان آخر مع الحذف والإضافة عليه، فهذه الحكايات الأسطورية الكوردية رويت من قبل أشخاص اميين على الاغلب، ولم يعرفون فنون الالقاء أو الرواية، بل كانوا يملكون القدرة والمهارة الفطرية.²

نلاحظ في الاساطير الكوردية ان الصراع يدور بين الانسان (التمثل بالقوة الخير) من جهة وبين الجن والعمالقة (التمثلة بقوة الشر) من جهة اخرى.

تعد شخصية الخضر (خدر زنده)، وفق المعتقدات الكوردية ممثلة قوة الخير وهي موجودة في كل المكان لمساعدة الانسان عند الضيق (تلعب دور المخلص) ويعتبرها بعض علماء انها تنتسب الى اديان ما قبل الاسلام، رغم أن مفسري القرآن الكريم يعتبرونه ذلك الرجل الصالح المذكور في سورة الكهف "فوجدنا عبداً من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً"³ والذي يلتقي بالنبي موسى. "فوجدنا عبداً من عبادنا) اي وجدنا الخضر عليه السلام عند الصخرة التي فقد عندها موسى الحوت"⁴

وتعد (الحيه) صورة لقوى الشر في الاساطير الكوردية، وهذا ما يوضح في أسطورة (كاوة الحداد). وهناك حكاية أسطورية، "ترد أصل الكورد الى عهد الملك (سليمان)، الذي كان يحكم - وفق معتقدات الأسطورية- عالماً أسطورية مليئاً بالجن، وتحكي الأسطورة بأن الملك سليمان قد ارسل خمسمائة (ديو - dew) الى اوربا للبحث عن اجمل العذارى وجليهن... الا أنهم وجدوا عند عودتهم أن الملك قد مات، ولذلك احتفظوا بالطبع بفتياتهم ومنهم جاء نسل الكورد"⁵.

الشعب الكوردي يمتلك العديد من الاساطير والحكايات البطولية التي تتمحور حول مواضيع بطولية او اجتماعية ذات مكانة ادبية وشعبية مرموقة من أشهرها التي عرفها الشرق وأقدمها هي الاسطورة (نوروز) التي هي انتصار الشعب الكوردي في القضاء على الطغاة، واسطورة "السيف) في ملحمة (قلعة دم دم) والتي تدور حول معركة الاكراد ضد الفرس بقيادة (خان لب زيرين)⁶.

وهناك حكايات خرافية واساطير مختلفة عن المكان في كوردستان مثل منحوتة (جبل الحرير) في ناحية حرير، ووفقاً للمعتقدات الأسطورية هي (باب الكفار) واسطورة (بردة باز) على طريق اربيل كويسنجق وخرافة (شجرة المسامير) في قرية (دار بزماره) واسطورة (عروس اليهود) واسطورة (الذئب المتحجر) في قضاء عقرة. وقد أخترت هذه الخرافيات والاساطير الأخيرة الواردة ذكرها أعلاه، لتحليلها في بحثي هذا لعدم وجود دراسات سابقة عنها، ولم يتم الإشارة إليها إلا في حدود مقتضبة جداً.

بعض المعتقدات الخرافية الكوردية

من المعتقدات السائدة في المجتمع الكوردي سكب الماء الحار في الليل على الأرض دون ذكر اسم (الله) خصوصاً على عتبة الباب (لأن أي عتبة مسكن للجان) يصيب الجن بالحرق من ما يعرض اهل البيت للانتقام من قبل الجن، هناك اعتقاد آخر في حالة زيارة ضيف غير مرغوب من قبل اهل البيت فأن وضع كمية من الملح في حدائه يؤدي الى المغادرة فوراً، يعتقد البعض بأن رؤية النجاسة في النوم للحصول على الرزق ولكن رزق حرام.

- 1 - علاء الدين السجادي 1907- 1984 استاذ التاريخ الحديث في جامعة الموصل، مع أنه كان عالماً دينياً الا انه اشتهر مؤرخاً وباحثاً وموثقاً للتراث الشعبي الكوردي.
- 2 - روخوش غفور. الفخار والخزف الشعبي في كوردستان العراق، رسالة ماجستير، جامعة سليمانية، كلية الفنون الجميلة، 2008، ص181.
- 3 - القرآن الكريم (سورة الكهف 65).
- 4 - محمد علي صابوني. صفوة التفسير، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص 173.
- 5 - دانا ادمز شمدمت. رحلة الى رجال شجعان في كوردستان العراق، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 194.
- 6 - نزار محمود عثمان. مرجعيات الشكل الخزفي المعاصر في كوردستان العراق، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين، كلية فنون الجميلة، 2010، ص62.

وإذا بكى الانسان في منامه، فهو نذير خير، أما الضحك فهو نذير الشؤم. وكذلك إذا رأى احد افراد أسرته عريساً أو عروساً في المنام، فهو الآخر نذير شؤم. رؤية الحية في النوم بمعنى العدو.

وأن حك اليد اليسرى الغير ارادي يجلب الرزق الحلال لصاحبه، يشاع في المجتمع الكوردي بأن الاستحمام عند المغرب قد يصيب الشخص الذي يستحم بالجنون. وهناك عادة بوضع القرآن الكريم او قطعة من الخبز فوق صدر الطفل المولود الجديد لحمايته من الجن (شهوة) وأن اسطورة (شهوة) تتلخص بأنها كانت امرأة لاتلد (عقيمه) لذلك تنتقم من كل أم بقتل الطفل الذي يولد حديثاً انتقاماً من امه. ومن جانب آخر لايجوز لهذه المرأة زيارة امرأة أخرى قبل مضي اربعين يوماً، لأن مثل هذه الزيارة تعتبر من وجهة نظرهم مجلبة للشؤم.

رؤية قطة السوداء في الليل يعتقد بأنها جني، ونباح الكلب بمعنى أن الملك الموت قريب من المنطقة، من ينظر الى نفسه في المرأة ليلاً يصيب الشخص بالجنون او سيجن. وضع العين الزرقاء على الدار للحماية من الحسد، وهناك من يضع من قرن الثور في مكان عالي من البيت لحماية اهل البيت من الحسد، ويعتقد سكب الماء وراء المسافرين معنى عودته مبكراً وسالماً، كسر الجرة وراء الشخص المسافرين بمعنى عدم عودته الى هذا البيت، كسر البيضة على اي حاجة جديدة للحماية من الحسد، وكذلك يعتقد سماع صوت البوم يجلب المصيبة لأهل الدار، ومن الدجاجة التي تصيح، وغالباً ما كانوا يلجأون الى ذبحها حالاً، لئلا تقع مصيبة في البيت وفق معتقدات الكورد يتقاعلون اذا طنت الأذن اليمنى، لأنه دليل على أن بعض الناس يتذكروهم بالحسنى، وفي نفس الوقت نجدهم يتشاءمون اذا طنت اليسرى، لأنه دليل على أن بعض الناس يذكروهم بالسوء.¹

مؤشرات الإطار النظري

1. هناك أشياء تبدوا غير منطقية مع ذلك يؤمنون بها.
2. هناك حكايات تعبير عن الحياة البيئية التي ينشأ فيها الفرد.
3. الأسطورة ناتج من حالات ذهنية ونفسية خارجة عن مستوى العقل.
4. الاسطورة صناعة شكلية للخيال، والتي لا يمكن لها ان تكون الوجود هذا الخيال.
5. الاسطورة أنها حكاية أو مجموعة من الحكايات أو روايات منسوجة عن القوى الغيبية والمتداولة بين الناس.
6. تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس وهو غير الزمن الحالي المعروف.
7. ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه.
8. أن اساطير الكوردية ترجع بداياتها الى العصور القديمة.
9. نلاحظ ان الاساطير الكوردية الصراع يدور بين الانسان وبين الجن والعمالقة.

الفصل الثالث

اجراءات البحث

منهجية البحث

يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الميثولوجيا وبما يساعد على تحقيق أهداف البحث.

مجتمع البحث

هو مجتمع مادي يتشكل من مجموعة الأساطير مطروحة على المكان التي انجزتها الناس البسطاء في كردستان العراق.

عينة البحث

تم اختيار العينة بطريقة القصدية وبما يتلائم مع اهداف البحث من جهة وضمن حدوده من جهة اخرى.

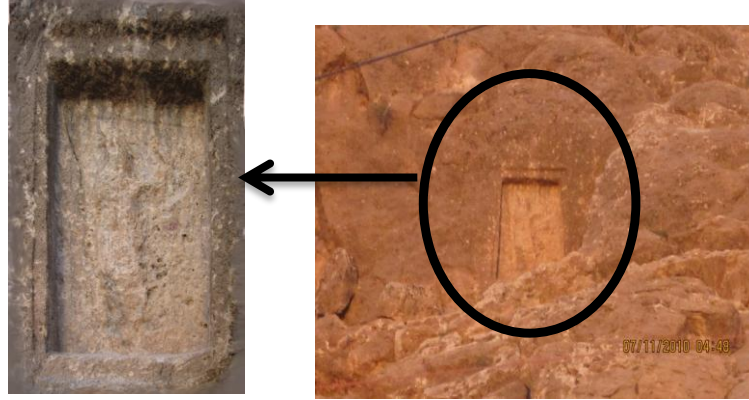
ادوات جمع البيانات

- يتم الاعتماد على المصورات والكتب والمنشورات التاريخية.
- مقابلة الشخصية مع كبار السن لعدد من المناطق في كردستان العراق.

1 - علي الجزيري. الأدب الشفاهي الكردي، مطبعة اوفيس هتولير، الطبعة الثانية، 2000، ص 52 الى 55.

أداة التحليل

اعتمد الباحث في الأطار النظري للبحث على مجموعة من المصادر متنوعة، وكذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتحليل اشكال عينة البحث، واشتق وحدة التحليل من خلال معلومات الأطار النظري ومن خلال الخبرة الشخصية للباحث.



العينة رقم (1)، باب الكفار، من المادة حجر، القياس $1,25 \times 2,50$ م، في ناحية حرير.



تبعد منحوتة جبل حرير - وفق معتقدات الأسطورية- (باب الكفار) مسافة كيلومتر عن ناحية (حرير)¹ وترتفع عن الشارع العام خمسين متراً وهي منحوتة فوق سطح الجبل مباشرة، وبشكل مستطيل عمودي تتراوح أبعاده $(1,25 \times 2,50)$ م.

يتكون العمل الفني في هذه العينة من رجل واقف بشكل جانبي منفذ بالنحت البارز على الحجر، وهو فارس حليق اللحية ويرتدي على رأسه

غطاء بشكل مخروطي له اضافات مثل شريط يلتف حول الرأس وينزل على الظهر بشكل مهدب ويده اليمنى مرفوعة الى امام كأنه للتحية ويمسك بيده اليسرى رمحاً طويلاً قاعدته في الأرض و نهايته تصل الى قمة رأسه، وقد مد قدمه اليسرى الى امام وكأنه في موقف عسكري وهذا يدل على القوة، ويرتدي (قميصاً)² قصيراً يمتد الى الخصرين بقليل، ورداءً طويلاً مربوطة فوق الكتف الايمن وتدلّي وراء ظهره الى الركبتين وله حافة مخططة وهذا يدل ان الشخص المنحوت محارباً لأن هذا الرداء خاص للمحاربين و بنطالاً على هيئة (شروال)³ يصل الى الحذاء وعلى الشروال صفوف من الاقراص ويلف خصره حزاماً طويلاً ثم ينزل الحزام الى الركبتين كما في (شكل 1).

شكل (1)

1- ناحية الحرير: تابع القضاء شقلاوة والمسافة بين ناحية الحرير وشقلاوة (40كم) وهي منطقة جميلة في سفح الجبل فيها مقاهي وعين ماء غريزة وأشتهرت بزراعة التبغ وجني العسل. وتبلغ مساحة حرير 2,56 كم²، وعدد القرى التابعة لناحية حرير هي 43 قرية. طبيعة اراضيها: 80% سهول، 15% تلال و 5% جبال. للمزيد ينظر: (<http://www.hawlergov.org/ara/subject.aspx?ID=379>)

2- القميص: هو اللباس الرئيس لتغطية الجسم ولوقايته من الحر والبرد، ويصل الى الخصرين او الركبتين وأحياناً الى منتصف الساقين وهو ليس فاضياً اذ يطابق الجسم في الغالب للمزيد ينظر: فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضرة مدينة الشمس، بلا، بغداد، 1974، ص56

3- شروال: هو من البسة الاقوام الجبلية ويأتي من حيث الاهمية بعد القميص، ويلبس الشروال دائماً تحت القميص، ويفصل بعرض واسع عند منطقة الخصرين لتسهيلاً للحركة. للمزيد ينظر: فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المصدر السابق، ص56

حسب ما أشار اليه الأستاذان (طه باقر) و(فؤاد سفر) أن هذا العمل يعود الى الفترة (الفرثية)¹ أستناد الى نوع اللباس الذي يرتديه هذا الشخص المصور على المنحوتة، دون معرفة المناسبة التي نحت من اجلها هذا الشخص²

باب الكفار في منطقة حرير هو باب مغلق على محتوى غير معروف لايجدون له أي تفسير سوى أن سكان المنطقة يعتقدون بأن هناك حكاية ما وراء هذا الباب، حيث أنهم يعتقدون بأن هناك كفار يسكنون وراء هذا الباب ولا نعرف ماهو الكفر ونوعه الذي يعتقدون به، حيث ان هؤلاء الكفار يسكنون هناك ويمتلكون الكنوز التي جمعوها بالقوة من الناس البسطاء في ذلك الزمان وهذا الشخص المنحوت على الباب بصورة حارساً واقفاً بقوة يمسك المرحم لكي يدافع عن هذه الكنوز وراء ذلك الباب، لهذا السبب يعتقدون الناس إنه يجب ان نرمي الحجارة على الباب.³

هذا العمل الفني التاريخي يقع في منطقته كوردية ولكون الشعب الكوردي يؤمن بالأساطير والحكايات فهي تمثل جزءاً من تقاليدهم وعاداتهم تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والعقيدة الدينية. ومنطقة حرير احدي هذه المناطق الكوردية والتي تأثرت بالعادات والتقاليد لأنها تمثل خصوصية الفرد ومصدر سلوكه وأفكاره وقناعاته وبمرور الزمن تحولت بشكل تدريجي الى طقوس وعادات حتى اصبحوا يؤمنون بها، وخضعها لمضامين اجتماعية وفكرية اخذت حيزاً مهماً في حياتهم. وعلى الرغم من ان العمل لا بد ان يكون جزء من التاريخ الماضي للمنطقة، فقد فقد أهميته التاريخية الاصلية وأصبح رمزاً لممارسة الناس عاداتهم لمن يعادي الدين.

تأثير الدين الاسلامي في نفوس الناس من المنطقة، تحول المنحوتة من عمل فني تاريخي الى (باب الكفار)، والاضرار التي تسببت لها المنحوتة، بسبب هذه التسمية التي ليس لها أي علاقة بالمنحوتة. وقد اصيب بأضرار لأن الناس يرمونه بالحجارة وأطلق العيارات النارية وفقد جماليته الفنية وقيمته التاريخية.

ان الذين يرمون المنحوتة بالحجارة يعتقدون بأنه نوع من الممارسة الدينية. لأن دين الاسلام له هذا نوع من الممارسة (الرمم بالحجارة) في كثير من القضايا منها رجم الشيطان في الحج، لذا كثير من الناس في منطقة حرير يمارسونه ويعتبرونه نوعاً من الطقوس الدينية.



العينة رقم (2)، الأسم (بردة باز)، من المادة حجر، القياس $1,20 \times 1,30 \times 4,10$ م، من محافظة اربيل قرب قرية

مام جوغان

1- الفرثيون (247 ق.م) - (226 ب.م): انهم كانوا من القبائل البديوية (الهنديّة الأوروبية) واسم الفرثيين نسبة الى الاقليم الذي استولوا عليه في ايران، واشتهر بالفروسية والحرب. دخل الفرثيون الى العراق سنة (140 ق.م) في حين عاشوا في بعض المدن منها (طيسفون) وكانت في عهدهم معسكراً، عاشوا كذلك قرب بابل مدينة عرفت باسم (اولغاشية) نسبة الى الملك الفرثي (اولغاش) الاول، وكذلك عاشوا في مدينة الحضر في شمالي العراق، فاقصر حكم الفرثيين على شمالي العراق الذي تعرض في زمنهم لهجمات الرومان، وظلوا يحكمون العراق حتى حل ملههم الفرس الساسانيون في (226) للميلاد. للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1956، ص465 الى 470.

2 - طه باقر، فؤاد سفر، المرشد الى موطن الاثار والحضارة، الرحلة الخامسة، بغداد، 1966، ص13

3- مقابلة مع مجموعة أشخاص من كبار السن في ناحية حرير.

هذا الحجر (بردة باز) ويقاس اربع امتار وبجانبه قبر طويل حيث نشاهد كتلتين من الحجر هو بالأصل كتلة واحدة وشق من النصف ليكون كتلتين من الحجر على محتوى غير معروف، على الجزء اليمين من قطعت الحجر، اربعة حروز، وقد لون هذا الحجر باللون الأخضر، وهناك صور لسيف ذو رأسين خلف الحجر، وكتابة اسم الامام علي (رض). وكذلك رسم الى جانب السيف بشكل خنجر.

اكثر الناس لا يجدون للحجر أي تفسير سوى أن سكان المنطقة يعتقدون بأن هناك حكاية ما وراء هذا الحجر، حيث اعتقد الناس ان معركة قامت بين المسلمين بقيادة الامام علي (رض) وبين الكفار في فترة الخلفاء الراشدين.

هناك روايات تتناقل بين سكان المنطقة واحداهما تقول ان حكاية هذا الحجر (بردة باز)، تدور حول اختباء احد الكفار خلف هذا الحجر خوفا من مواجهة الامام علي (رض) وعندما وجده الامام علي (رض) اراده ان يجتز رأسه فجاءت الضربة بالصخرة وقسمتها الى نصفين كما في (شكل 2) وبعدها قتل الكافر، قفز الامام علي (رض) على الحجر ويقال مازالت اثار ركبتيه وعكسه يده على الحجر باقية ليومنا هذا كما في (شكل 3)، ويقال ان المحاولات كانت كثيرة لتغيير المكان الحجر، حتى بواسطة الشفلات الضخمة الحديثة دون جدوى، فالحجر صامد لا يتحرك.¹

ايضاً هناك اسطورة اخرى عن هذا الحجر فبعض الناس يعتقدون بأن الامام علي (رض) من كثر تعبته من الطريق ارتاح فوق هذا الحجر فصار الحجر له فراش مريح كما في (شكل 4)، وعندما جاءت خبر سيطرة الكفار في المعركة مع المسلمين، اشتد غضبه، وضرب الحجر بسيفه فقسمها الى نصفين ثم قفز الامام على الحجر متوجها الى المعركة ومازالت اثار ظهره و ركبتيه و عكسه باقية على الحجر.



شكل (4)



شكل (3)



شكل (2)

بواسطة هذا الاسطورة المناهله حول الحجر صار المكان ذا اهمية فانه و معدسه عند الناس وما زالوا يزورونه الى يومنا هذا ويمارسون طقوس معينة حيث يعتقدون ان امنياتهم تتحقق عبر الصاق حجر صغير بهذه الصخرة ويقومون بخدش هذه الصخرة الكبيرة بواسطة قطعة حجر صغيرة فاذا التصق الحجر يدل على تحقيق امنياتهم واذا لم يلتصق فأمنيتهم لن تتحقق.

ان تحويل كتلة حجرية عادية الى كتلة حجرية مقدسة هو نوع من الابداع البشري في صنع الاسطورة الذي كثيراً من الناس البسطاء يهتمون به وتتحول بشكل تدريجي الى طقوس، ان الهدف من هذا النوع من الأساطير فقط لتقديس المكان وأبرازه، ان ايمان الناس بهذه الحكاية غامض، ان ما يتناقله اهل هذه المنطقة ان بطل الحكاية هو الامام علي (رض)، ولكن رجال الدين يؤكدون ان الامام علي (رض) لم يصل الى هذه المنطقة، ان الحفر الموجودة على الحجر والتي يقال انها اثار ركبتيه وعكسه قد تطابق قياس اي شخص عادي، وهل من الممكن ان يتصور الإنسان ان قفزة الامام (رض) بمقدوره ان يحفر هذا الحجر الصلد، وهل للسيف ان يقطع هذا الحجر بضربة واحدة ولماذا يقطعه بشكل منحني، كل هذه الافكار والتخيلات ونسبها للامام علي (رض) هي اعتقادات الناس البسطاء الذين يبحثون لهم عن طقوس تريح نفوسهم عند الأحساس بقلة الحيلة وعلى التغلب على متاعب الحياة.

ان الاعتقادات الذي يعتقد بها الناس في المناطق القريبة من الحجر لها تأثير المكان عليها وعلى الحجر، لأن حسب ما يقولون إن هذا المكان قد تواجد فيها الامام منذ فتوحات الإسلام ودارت فيها معركة بقيادة الامام علي (رض) كل هذه احداث ادت الى ابراز اهمية المكان والحجر يمثل مدى قوة الامام (رض) حسب اعتقادهم. كل هذه المعتقدات أثرت بشكل كبير على الحجر واصبح ذا اهمية عند الناس.

1 - مقابلة مع الحاج (ثيرة ميمد احمد مراد خان) من اهالي قرية مام ضوغان من موليد 1935

وبأمكان أن يتحول الكتلتين الحجر بالشكل شبه البيضوي الى عمل فني معاصر لأن الحجر والمكان المتواجد فيها على الشارع والفضاء الذي حولها يعطي نوع من الجمالية للناظر حين ينظر عليها في مسافة. ومع ذلك أكثر الناس الذين يزورون المكان يكتبون على الحجر ويرسمون عليها باللون الأخضر سيوف ذو رأسين. هؤلاء الناس الذي يرسمون ليس لهم اي علاقة بالفن التشكيلي ومع ذلك الحجر يعطي نوعاً من الجمالية والابداع لأنه نلاحظ المرسومات الذي رسمت عليها يبين نوعاً من الشفافية والجرئة بضرباتهم العشوائية حين يمسكون الفرشاة لكي يرسمون عليها.



العينة (3)، الأسم عروسة اليهود، القياس أكبر من الحجم الطبيعي للإنسان، قضاء عقرة.

تقع عروسة اليهود (بوكا جيا) في قضاء عقرة فوق الجبل (ثيقة ستر) مقابل القلعة (سلمان اغا) الأثرية، بقياس أكبر من حجم طبيعي للإنسان العادي، هذه الكتلة الحجرية التي تكونت بفعل العوامل (الجيولوجية) مع تكوين البيئة، الناس يعتقدون بأن وراءه حدثاً مثيراً للعجب، ان هذا الحدث هو بالأصل جاءت من القصة الاسطورية الموروثة من جيل الى اخر ثم تحولت بشكل تدريجي الى طقوس.

تبدأ الاسطورة من امرأة يهودية تعجن عجينة الخبز وبنفس الوقت كانت تحتضن طفلها ولكن الطفل قام بتوسخ نفسه عندها نظفت المرأة طفلها بقطعة العجين، فأنتقم الله سبحانه وتعالى من هذه المرأة وحولها الى حجر.¹

وهناك اعتقاد اخر لموضوع عروسة اليهود يقولون انها امرأة كانت تهيأ العجين للعجن، وكان بقربها طفلها الذي لايعرف هل كان ولد ام بنتاً، هذا الطفل وسخ نفسه ولم تجد الأم شيئاً لتنظف الطفل به، وعندها ارسل الله سبحانه وتعالى قطعة قماش جميلة جداً ذات رائحة زكية لتنظف الطفل به ولكن الام احتفضت بقطعة القماش لنفسها ولم تستعملها واصرت على تنظيف طفلها بقطعة العجين التي لديها، فانه سبحانه وتعالى غضب عليها وحولها الى حجر التي سميت (عروسة اليهود)، موجودة الان في منطقة عقرة.²

هذه الصخرة التي تكونت بفعل العوامل الجيولوجية تحولت الى حكاية اسطورية عند الناس واصبحت نوع من العقيدة التي يؤمنون بها، هذه التحولات تعتبر نوع من الابداع، ان الصخرة ليس لها اي قيمة من الناحية الفكرية بدون هذه الحكايات الأسطورية، وهذا يدل على أن ميثولوجيا الكوردية هي جمع الدوافع التي طالت قدرات الناس العقلية كغيرهم من الشعوب مما جعلهم يفكرون عن سبب وجود هذه الصخرة ونشأتها إلى جانب الصور المجازية لطبيعة الأشياء التي حولتهم، فأصبحت هذه الظاهرة (ميثولوجيا) كونها وجدت تفسير يتناسب مع واقعهم.

1- مقابلة مع الحاج (محمد عبدالرحمن صديق)، من مواليد 1944، مختار لمنطقة عقرة.

2- مقابلة مع (عبدالكريم فاضل طاهر اغا)، من مواليد 1982، من مدينة عقرة.



العينة (4)، الأسم الذئب المتحجر، القياس اكبر من الحجم الطبيعي للذئب العادي، قضاء عقرة

يقع الذئب المتحجر في قضاء عقرة فوق الجبل (ملة كورت) بارتفاع لا يقل عن الثلاثين متراً، مقابل مرقد الشيخ عبد العزيز ابن غوس الكيلاني، بقياس اكبر من حجم الطبيعي للذئب العادي، هذه الصخرة التي نراها فوق الجبل، ورائها حكاية مثيرة للعجب، حسب ما يعتقد الكثير من الناس في هذه المنطقة ويؤمنون بهذه الحكاية فاصبحت نوعاً من الطقوس.

تبدأ الحكاية من الشيخ عبد العزيز ابن (غوس الطيلاني) حيث كان في حقله المواشي وكانت مواشي الشيخ عبد العزيز ترعى في الحقول بدون راعي، وفي احد الايام جاء الذئب الى مواشي هذا الشيخ، ولما نظر الشيخ الى الذئب قال له اكثر من مرة ان يبتعد عن الماشية لكن الذئب لم ينفذ ما امره الشيخ، وبعد ان تأكد ان الذئب يريد الهجوم على الماشية دعا من الله ان يحوله الى حجر وما زال هذا الذئب الحجري باقياً على وضعيته مقابل مرقد الشيخ في قضاء عقرة.

وهناك رواية ثانية تقال حينما ترجع الماشية من الجبل وبدون راعي، كانت احدى الحيوانات متأخرة عن مجموعتها وكان الذئب يحاول ان يصطادها ولما نظر الشيخ عبدالعزيز الى الذئب اشار له ان يبتعد ولم ينفذ الذئب طلب الشيخ، وعندها دعا من الله ان يحول الذئب الى حجر.¹

هذه الحكاية الاسطورية الكثير من الناس يؤمنون بها لعلاقتها بالدين والعقيدة، حيث ما يشعر الانسان بالرهبة والخوف من شيء فإنه يقدسه ويضع له اسطورة. ان هذه الكتلة الحجرية التي تكونت بفعل عوامل جيولوجية، ان نوع صخرة الذئب المتحجر هي من نفس نوع الصخرة المحيط بها (جبل ملة كورت) حسب ما اشاروا اليه المختصين بعلم الجيولوجي، فلو كان الذئب المتحجر غير متطابق لحجر المكان الذي فيه، لكان بإمكاننا القول انه كان ذئباً وتحول الى حجر بواسطة قوة خارقة لكنه مطابق مع الحجر المحيط به. وهو في مكان على حافة الجبل وفي ارتفاع لا يقل عن ثلاثين متراً. ويقال انه كان بلاحق مواشي الشيخ ليفترسها، فالحكاية غير معقولة ولذا فهي اسطورة من الاساطير القديمة للتأكد على الأهمية القيمة لهذا المكان، بالنسبة لسكنة هذه المنطقة.

1 - مقابلة مع السيد محمد عبدالرحمن صديق. من مواليد 1954 كان مختاراً لمنطقة العقرة



العينة (5)، الأسم: شجرة المسامير، القياس الشجرة الطبيعية، محافظة اربيل قرية داره بزماره

تقع هذه الشجرة شجرة المسامير في قرية (دائرة بزماره) التابعة لمحافظة اربيل، قياسها بقياس شجرة عادية متوسطة الحجم، مليئة بمسامير مثبتة مختلفة الأشكال والأحجام وبفعل الرياح القاسية سقطت الشجرة قبل سنة تقريباً وهي الآن ممددة على الأرض.

ان الأسطورة التي تدور حول هذه الشجرة هو الاعتقاد بأنها تعالج الاسنان، فكل شخص وبأي مكان يصاب بالأسنان ما عليه سوى أن يدق المسمار على الشجرة وبواسطة حجرة من المكان المحيط بالشجرة، بعد هذه العملية يتم شفاء المرض، يعتقد الناس الذين تعاملوا مع الشجرة ان القوة السحرية التي تمتلكها هذه الشجرة لشفاء الناس مستمدة من الأشخاص الخيرين المدفونين في المقبرة الموجودة في نفس المكان.

جاءت هذه الدراسة لتعرف على معتقدات الناس في قرية (دائرة بزماره) من خلال طرح هذه الاسئلة والأجابه عليها:

1. متى نشأ هذا المعتقد الذي يتمسك به سكان هذه المنطقة؟

لم يتم تحديد الفترة الزمنية لنشوءه الا انه معتقد قديم متوارث عبر الاجداد حتى وقتنا الحاضر، وحتى ان القرية سميت باسم هذه الشجرة (دائرة بزماره). اذ فكرة الشجرة اقدم من نشوء القرية، وأن تواجد المقبرة في المكان يوضح لنا بوجود الناس من القدم قرب هذه الشجرة وليس بالأماكن تحديد عمر المقبرة. وحسب ما يشير الناس بالمنطقة ان الشفاء يأتي بواسطة المقبرة لأن المقبرة تحوي رفاة ناس نبلاء وان هذه الشجرة مزروعة من قبل احد الأشخاص المدفونين فيها.

2. ماهي الدوافع التي قادت الناس البسطاء للتعلق والأيمان بقدرة هذه الشجرة على تجاوز العلم الطبي في علاج المرضى؟

يميل الناس عادةً الى ايجاد حلول سهلة وفعالة لحل مشكلاته والتصديق بكل ما يوصله لأهدافه ومنها الشفاء من الامراض. وربما لمس البعض فائدة وشفاء مما جعل الناس يؤمنون بقدرة هذه الشجرة، وحسب ايمانهم القوي بهذا المعتقد قد يأتي الشفاء حين يمارسون هذا النوع من الطقوس

3. لماذا تتسلط العقائد الخرافية وتخرج من الدائرة اللاشعور الى نطاق الوعي؟

4. لماذا استخدام المسمار؟ وماهو زمن اول مسمار على هذه الشجرة؟

كما يشير الدكتور علي الوردي ان الذين يؤمنون بوجود العقل الباطل يعتقدون انه مهبط الوحي والكشف والالهام في الإنسان وهو منبع العبقريّة والنبوة والاختراع وما اشبه¹

حسب ما يبين في الشجرة فقد استخدمت اشياء حادة غير المسمار لأن الفكرة تثبتت شيء في الشجرة لغرض الشفاء، وكان يستخدم المسمار بسهولة غرسه ولكونه شيء حاد ومتوفرة لدى الناس في كل المكان فأصبح المسمار جزء من العقيدة بمرور زمن.

لم احصل على زمن مسمامير موجودة على الشجرة لأن بسبب كثرة دق المسمامير وبمرور الزمن فالمسمامير القديمة تعرضت الى التلف بفعل الانواء الجوية.

5. هل تقترح حماية هذه الشجرة للحفاظ على (الأسطورة) من الاندثار حيث انها تشكل جانباً مهماً من الثقافة الشعبية الانسانية؟

ان الاحتفاظ بالشجرة وفي نفس المكان تشكل جزءاً من التراث الشعبي لأن بقاءها يعطي للمكان المتواجد فيه شهرة قيمة تاريخية وللارتباط الوثيق بين الشجرة والقربة. فهي معرضة للتلف والاندثار نتيجة لموتها فربما لو تم الاهتمام بها تصبح معلماً تاريخياً و عامل جذب للسياح يضاف لحضارة وتاريخ كردستان.

6. هل تعتقد بالأماكن عرض هذه الشجرة كنصب شعبي نحتي؟

ان بالأماكن عرض الشجرة كنصب نحتي، كونها تمتلك التكوينات الجميلة التي احدثتها المسمامير وهو يعتبر نوع من الحدائث.

بالرغم من احتمال تلف واندثار شجرة المسمامير وكون الفكرة المرتبطة بها اسطورة الا انها شكلت جزءاً من ثقافة وتاريخ الشعب الكوردي على مدار سنين طويلة وربما ساعدت الكثير ممن امنوا بقدرتها على التخلص من الالم لأن هو جزء من الطبيعة البشرية التي خلق عليها الانسان يؤيد ذلك الحديث النبوي الشريف "من آمن بحجر كفاه"²، حيث ان الانسان حين يؤمن بفكرة معينة و يصدق بها تصديقاً كاملاً فانها تصبح ممكنة الحصول وهي احدى النعم من الخالق عز وجل. وانطلاقاً من هذا المبدأ تظهر اهمية هذه الشجرة وأهمية الحفاظ عليها.

الفصل الرابع

نتائج البحث

في نهاية هذا البحث ومن دراسة وتحليل الاعمال التي اختيرت في الفصل الثالث عينة لهذا البحث، ولغاية أساس هي الكشف عن السمات الفكرية للاساطير وفي ضوء علاقتها بالعقيدة الدينية وذهنية الناس ونوعية الفكر وخصوصية العوامل البيئية.

ففيما يخص الهدف الذي يهتم بتعرف اهم موضوعات ومضامين الفكرية للاساطير في كردستان، كانت النتائج كالآتي:

1. أن الشعب الكوردي يؤمن بالأساطير والحكايات فهي تمثل جزءاً من تقاليدهم وعاداتهم تبعاً لأختلاف الزمان والمكان والعقيدة الدينية.
2. ان جميع الاساطير متروحة على المكان هي في حقيقتها انعكاس لبنية الفكر الديني السائد في بعض المناطق من كردستان.
3. المكان لا معنى له إذا جرد من الحدث الذي قام عليه.
4. بواسطة الاسطورة المتناقلة من الجيل الى اخر صار بعض من المكان ذا اهمية فائقة ومقدسة عند الناس ويمارسون طقوس معينة الى يومنا هذا.

1 - علي الوردي، خوارق اللاشعور، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، تهران، الطبعة الأولى، 1980، ص142
2- علي الوردي، المصدر السابق، ص186

5. أن بعض الاعمال الفنية مثل (منحوتة جبل حرير) فقدَ جماليته وقيمتها التاريخية الاصلية بواسطة الاساطير وأصبح رمزاً لممارسة الناس عاداتهم لمن يعادي الدين.
6. حيث ان الانسان حين يؤمن بفكرة معينة ويصدق بها تصديقاً كاملاً فانها تصبح ممكنة الحصول، مثل العلاج بواسطة الشجرة.
7. الطقوس الدينية التي يؤديها الناس تجاه الحجر هي من الموضوعات الدينية حيث ان الانسان ما يشعر بالرهبة والخوف من شيء فإنه يقدسه ويضع له اسطورة يؤمنون بها.
8. هناك علاقة بين الميثولوجيا والمكان حيث تدور اغلب اساطير حول قدسية المكان والعلاقة التي تربط الانسان بالطبيعة. الأساطير والخرافات الموجودة في المكان والتي تدخل في نسيج حياة الناس وتشكل ثقافتهم وعقولهم وتنمط علاقتهم بالمكان وما يحتويه.

الاستنتاجات

ومن مناقشة النتائج اعلاه استنتج الباحث ان مواضيع الأساطير المتروحة على المكان اكثرها مستمد من الحكايات الشعبية المتناقلة شفاهياً من جيل الى اخر وبمرور الزمن اصبح من المعتقدات الدينية. ويبدو ان بداية نشأة هذه الاساطير الغربية كان حكايات بسيطة التي عندما كان يصيب الناس أمراً بالنهار فيجتمعون بالليل ويحكونه. فهذه الحكايات الاسطورية الكوردية رويت من قبل اشخاص اميين على الاغلب، ولم يعرفون فنون الالقاء او الرواية، بل كانوا يملكون القدرة والمهارة الفطرية.

المصادر

1. ابراهيم، نبيلة، الأسطورة، سلسلة الموسوعة الصغيرة وزارة الاعلام العراقية.
2. باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1984.
3. باقر، طه وسفر، فؤاد، المرشد الى موطن الاثار والحضارة، الرحلة الخامسة، بغداد، 1966.
4. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1956.
5. بنوا، لوك، اشارات، رموز واساطير، تعريب: فايز كم نقش، عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان، 2001.
6. الجزيري، علي، الأدب الشفاهي الكردي، مطبعة اوفيس هتولير، الطبعة الثانية، 2000.
7. خشبة، سامي، مصطلحات فكرية، مكتبة الاسرة، مهرجان القراءة للجميع، 1997.
8. الخطيب، محمد، الفكر الاغريقي، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999.
9. سفر، فؤاد ومصطفى، محمد علي، الحضرة مدينة الشمس، بلا، بغداد، 1974.
10. السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، منشورات علاء الدين، دمشق، 1997.
11. السواح، فراس، مدخل الى نصوص الشرق القديم، ديمشق: دار علاء الدين للنشر، 2006.
12. السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، دار الحكمة، بيروت، 1980.
13. شممت، دانا ادمز، رحلة الى رجال شجعان في كوردستان العراق، دار مكتبة الحياة، بيروت.
14. صابوني، محمد علي، صفة التفاسير، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2004.
15. الضوى، محمد توفيق، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة، الناشر المعارف بالاسكندرية، 2003.
16. عبد الواحد، فاضل، سومر اسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000.
17. عثمان، نزار محمود، مرجعيات الشكل الخزفي المعاصر في كوردستان العراق، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين، كلية فنون الجميلة، 2010.

18. غفور، روخوش. الفخار والخزف الشعبي في كردستان العراق، رسالة ماجستير، جامعة سليمانية، كلية الفنون الجميلة، 2008.
19. فراي، نور ثروب، الماهية والخرافة، ترجمة: هيفاء هاشم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992.
20. كامل، مجدي، أشهر اساطير في التاريخ، دار القبس للطباعة، 2003.
21. كامل، مجدي، المهابارات، الرامايانا، قلعة دم دم، (مم) و(زين)، دار الكتاب العربي، دمشق، 2009.
22. لوسيف، اليكسي، فلسفة الاسطورة، ترجمة: منذر بدر حلوم سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، طبعة الاولى، 2000.
23. الماجدي، خزل، متون سومر (التريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس)، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1988.
24. مرحبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988.
25. المعجم الفلسفي، مجتمع اللغة العربية، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، 1983.
26. موني، حبيب، فلسفة المكان في الشعر العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001.
27. نوح، صموئيل، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبدالقادر، مطبعة المعارف، بغداد، 1971.
28. النوري، قيس، الاساطير وعلم الاجناس، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981.
29. وارن، أوستن، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، دمشق مطبعة خالد الطرابيشي، 1972.
30. الورد، علي، خوارق اللاشعور، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، تهران، الطبعة الأولى، 1980.